المفكر اللبناني كريم مروة لـ «الأيام»

لبنان سيخرج من النفق المظلم و4 اسباب لتغيير الارهاب

بيروت - إسحاق الشيخ يعقوب

كريم مروة كاتب ومؤلف ومفكر لبناني وسياسي مخضرم. عندما تقترب منه وتلامسه الحديث والفكر يصبح فيك بحديثه وفكره مبهراً مدهشاً. وقد تختلف معه وقد تتفق، إلا أنه يفرض عليك احترامه بتواضع وأريحية وشمائل نبل إنساني. وهو قامة لبنانية فكرية وسياسية وثقافية لها أهميتها في الحياة السياسية العربية والخليجية، ومثقف متابع مطلع ومحاور بارع يقرأ التاريخ في جدل الحاضر، ويستشهد بصيرورته المادية التاريخية على طريق التناص نحو المستقبل.

التقيته في بيروت وخصّ جريدة الأيام المقابلة التالية:

● المشهد السياسي اللبناني مشهد لوحة سريالية متداخلة الألوان، متشعبة الأظلة، متعارضة الخطوط ومتشابكة الدوائر. كيف يراها ويحدثنا عنها كريم مروة؟! وهذا المشهد السياسي اللبناني الذي رمزناه بلوحة سريالية، هل يمكن أن تفكك شيئاً منه وتضعنا أمام حقيقة مكوناته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية؟!

– صحيح، إلى حد بعيد ما تقوله بخصوص الوضع الحالي في لبنان. إنه أشبه بلوحة سوريالية تتعدد الألوان فيها، من دون أن تحدد لها طابعها وشخصيتها. لكن التجريد هنا، في وصف الواقع اللبناني، لا يقدم أية معرفة لمن يريد أن يعرف، إذا نحن لم نخرج في تعريف الوضع من التجريد السوريالي إلى الواقع. وفي الواقع فإن صورة لبنان هذه هي امتداد للشروط التاريخية التي تكوّن فيها هذا البلد، قبل أن يصبح دولة مستقلة، ثم بعد أن أصبح دولة مستقلة. فهو بلد تتعدد فيه الأديان والمذاهب. وتتعدد فيه الثقافات. وتتعدد فيه المصالح الإقليمية والدولية. وكان يفترض بهذا التعدد الديني والطائفي، والتعدد الثقافي أن يجعل من لبنان نموذجاً راقياً في المنطقة، متقدماً على سواه من بلدانها الموحدة، أو شبه الموحدة، في تكونها الديني والثقافي. لكن ما حصل بالتحديد هو أن هذا التعدد قد تحول، من الداخل أولاً، ثم من الخارج بالتالي، إلى مصدر للنزاعات والانقسامات والتوترات والحروب الأهلية التي لم تنته فصولها. إذ أن كلاً من زعامات الطوائف قد لجأت إلى قوى خارجية لكي تثبت مواقعها، وتؤمن مصالحها، باسم طائفتها، وباسم المنتمين إليها، من دون استشارتهم. وقد أدت النزاعات والانقسامات والتزاحم على المصالح، والاستقواء بالخارج إلى تشوه في وعي المنتمين إلى تلك الطوائف، تشوه قادهم إلى الانقياد الأعمى وراء زعاماتهم، حماية وهمية لمصالح طوائفهم، من دون أن يدركوا أنهم إنما كانوا، وما زالوا، بمواقفهم تلك، يضيعون مصالحهم هم، ومصالح الوطن خدمة لمصالح تلك الزعامات والقوى التي تساندها من خارج البلاد. وظل لبنان بفعل هذه النزاعات والإنقسامات يستعصي على التكوّن كوطن لأبنائه سيد ومستقل. وظلت دولته تستعصي على التكوّن كدولة حديثة، برغم أن الدساتير الثلاثة، دستور الانتداب (1926) ودستور الاستقلال (1943) ودستور الطائف (1989) قد أكدت جميعها على ضرورة الخروج من أسر النظام الطائفي. إذ ازدادت، بدل أن تضعف، الاصطفافات والإستنفارات الطائفية، وبلغت ذروتها. فيا للمفارقة! وقد عجزت القوى الديمقراطية العلمانية (الشيوعي والإشتراكي والبعثي والقومي العربي والقومي السوري) عن لعب دورها في توحيد الشعب وفق مشاريعها العلمانية، برغم نضالاتها على امتداد أكثر من نصف قرن. ولم تفلح في إيقاف المد الطائفي بهرميته من الأعلى (الزعامات) إلى الأدنى (جماهير الطوائف). ولم تفلح في الحد من التدخلات الخارجية التي كانت ، وما زالت، تعزز هذا الانقسام في المجتمع اللبناني، ويستخدمه كل من المتدخلين الخارجيين لمصالحه ولأهدافه المعلنة منها والمضمرة. بل إن هذه القوى العلمانية ذاتها قد وقعت في الخطيئة الأصلية، خطيئة الحرب الأهلية، ومارست، مثل القوى الطائفية، الأساليب والسياسات ذاتها، والاستقواء بالخارج، كل منها وفق ما كانت تراه، بالمفرد وبالجمع، متطابقاً مع مواقفها ومع سياساتها. هذه هي الخلفية الأصلية للوحة السوريالية التي تبدو للعيان بتعقيدات ألوانها، وبغموض طابعها وشخصيتها اللتين يدلان عليها أسوة بأية لوحة سوريالية!

● ألم يغير اتفاق الطائف الذي أنهى الحرب، وتحوّل إلى دستور جديد للبلاد الشروط السابقة التي كانت في أساس تلك النزاعات والإنقسامات ومن ضمنها الحرب الأهلية؟

– كريم مروة: لم يكن اتفاق الطائف من صنع اللبنانيين. فقد وصلت الحرب الأهلية في نهايتها إلى مرحلة عجز فيها المتحاربون عن الحسم فيها لطرف على طرف آخر، وعجزوا عن إيقافها. وقد جاء اتفاق الطائف بقرار عربي ودولي، أمريكي على وجه التحديد، وبرعاية من المملكة العربية السعودية التي استضافت اللبنانيين من أجل صياغته. وكان الهدف الأساسي من الاتفاق إيقاف الحرب. وقد توقفت، برغم محاولة الجنرال ميشال عون عرقلة تطبيق الاتفاق. أما بنود الاتفاق فقد شكلت بمجموعها نقلة نوعية من مرحلة سابقة إلى مرحلة جديدة، أعيد فيها التوازن في السلطة بين المكونات الطائفية. وقد كان يفترض بهذا الاتفاق أن يشكل نقطة عبور للبنان بعد تطبيق بنوده، إلى مرحلة أرقى، ينتقل فيها هذا البلد بالتدريج من نظامه الطائفي إلى نظام ديمقراطي حديث، استناداً إلى ما عرف في تاريخ لبنان من تقاليد ديمقراطية، أهمها الحرية بكل جوانبها، وتداول السلطة حتى في ظل الحرب الأهلية. وهي تقاليد انفرد لبنان، برغم أزماته، باتباعها، متميزاً بذلك عن كل البلدان العربية.

لكن الذي عطل هذه العملية المشار إليها هي الوصاية السورية على لبنان، بذات القرار العربي والدولي. وهي كانت وصاية محدودة المهمة ومحددة في الزمن. لكن القيادة السورية عطلت، في ظل وصايتها على لبنان، تطبيق بنود الطائف، وتدخلت في كل صغيرة وكبيرة، وقسمت اللبنانيين أكثر مما كانوا منقسمين، وعمقت الاصطفافات والاستنفارات الطائفية في البلاد. وكان ما كان، حتى هذه اللحظة، التي ترافق فيها انسحاب القوات السورية مع سلسلة الاغتيالات التي ذهب ضحيتها كبار من قادة البلاد في السياسة وفي الفكر وفي الإعلام، كان في مقدمتهم رئيس الوزراء الأسبق رفيق الحريري. والجدير بالذكر أن اللبنانيين، على اختلاف مواقعهم وتياراتهم السياسية وعلى اختلاف طوائفهم، كانوا ولا يزالون يؤكدون على أن تقوم بين لبنان وسوريا علاقة مميزة شرط أن تكون ندية، وأن تحترم فيها سيادة واستقلال لبنان، من دون أن يؤثر في موقفهم ذلك كل ما ارتبط بالوصاية السورية من إساءات لهم ولبلدهم.

● أين كان موقع اليسار عموماً في تلك المرحلة وماذا كانت سياساته؟

– كريم مروة: خرج اليسار من الحرب منهكاً، مشتتاً، موزعاً بين مراكز قوى مختلفة، داخلية وخارجية. وإذ دخلت مجموعات منه في السلطة وعلى تخومها، فقد ظل الشيوعيون خارج كل تلك الاصطفافات. لذلك فإن الحديث عنْ دور اليسار في تلك المرحلة هو حديث في غير محله.

● ماذا عن الدور الإسرائيلي في كل تلك الأوضاع؟

– كريم مروة: إسرائيل عدو تاريخي للبنان منذ أن قامت في عام 1948،بعد هزيمة العرب الكبرى، التي يتحمل القادة العرب جميعهم المسؤولية عنها. وقد رأت إسرائيل منذ البداية أن لبنان، بتعدد الديانات والثقافات فيه وبالديمقراطية النسبية التي كانت قائمة فيه، وبالحريات العامة، لبنان هذا كان يشكل منذ البداية النقيض لمشروع إسرائيل، التي كان قادتها يريدونها دولة يهودية صافية، وكانوا يريدون أن تصبح البلدان العربية بلداناً يطغى فيها اللون الديني الواحد، أو الانقسام بين المكونات الدينية فيها. هذه الحقيقة لم يدركها اللبنانيون بالمستوى ذاته. بعضهم أدركها جيداً، وكان في مقدمتهم المفكر الليبرالي المسيحي الماروني ميشال شيحا. وكان اليسار الشيوعي تحديداً من أوائل من رأى هذه الحقيقة أيضاً بوضوح. في حين أن أقساماً كبيرة من القوى السياسية ومن جماهيرها لم تدرك ذلك، ولم تدرك خطورة المشروع الإسرائيلي واستهدافاته.

● ألم تشكل مقاومة الشعب اللبناني للعدوان الإسرائيلي دليلاً يناقض ما تقوله؟

– للمقاومة في لبنان تاريخ قديم وطويل. وكان الشيوعيون من أوائل الذين اقتحموا هذا الميدان، مع بعض الوطنيين اللبنانيين. ففي عام 1925 وقفوا إلى جانب الثورة السورية، إذ اعتقل الأمين العام للحزب فؤاد الشمالي ومعه رفيقه آرتين مادايان وواجها حكم الإعدام. وفي عام 1936 شكلوا قوات لدعم الثورة الفلسطينية، وقتل قائد تلك القوات عساف الصباغ من قبل الجيش الفرنسي الذي كان موالياً لهتلر في عام 1941. وذهب عدد من المجاهدين الوطنيين الآخرين إلى فلسطين للانضمام إلى جيش الثورة. وفي عام 1948 قاوم اللبنانيون بقدر طاقتهم العدوان الإسرائيلي، وأعدم في بلدة حولا لوحدها أكثر من أربعين شاباً بينهم عدد من الشيوعيين. وفي المرحلة التي أعقبت هزيمة حزيران شارك الشيوعيون في المقاومة مع أشقائهم الفلسطينيين. وانفردوا في عام 1969 بتأسيس أول منظمة مقاومة لبنانية باسم "الحرس الشعبي" مارس أبطالها الكفاح واستشهد عدد منهم في مقاومة عدوان عام 1972، وفي عمليات لاحقة.

لكن أهم إنجاز للشيوعيين كان إطلاق جبهة المقاومة في عام 1982 خلال الغزو الإسرائيلي للبنان، التي كان لأبطالها دور حاسم في انسحاب القوات الإسرائيلية تحت ضرباتهم المتواصلة إلى الشريط الحدودي. وشارك في عمليات الجبهة جميع القوى التي كانت تتشكل منها الحركة الوطنية اللبنانية.

■ لماذا لم يرد في حديثك اسم حزب الله في المقاومة؟

– دخل حزب الله إلى المقاومة باعتراف قادته، في عام 1985. وكان من أول ما قامت به مقاومة حزب الله محاربة الشيوعيين بالاغتيالات والخطف، من أجل أن يكون حزب الله هو القوة المقاومة الوحيدة، وذلك لأهداف ظهرت بوضوح، في المراحل اللاحقة، وفي المرحلة التي يمر فيها لبنان الآن.

● ما هي تلك الأهداف؟

– لن أدخل في تفاصيل غير مفيدة. لكنني أود أن أؤكد على أمر واحد هو أن الوظيفة الأساسية من حصر المقاومة بحزب الله، ولو بالقسر، إنما تتصل بما كان قد جرى من اتفاق خلال الحرب الأهلية بين سوريا وإيران لجعل لبنان ساحة صراع في مواجهة إسرائيل وفي مواجهة الغطرسة الأميركية في المنطقة. ولم يكن يعني لبنان، وطناً وشعباً ودولة، بالنسبة إلى الدولتين، إلا ما ارتبط بذلك الهدف المشار إليه. سوريا أرضها محتلة. لكن المقاومة لاستعادة الأرض كانت محرمة. لبنان وحده هو ساحة المقاومة والصراع لتحرير أرضه، ولتحرير الأرض السورية، ولتحرير فلسطين!

أقول ذلك من دون أن أقلل مقدار ذرة من الدور الحاسم لمقاومة حزب الله في تحرير الأرض اللبنانية في عام 2000.

● ما علاقة كل ما تقوله بالوضع الحالي في لبنان؟

– لقد أدت التطورات التي أشرت إليها منذ بداية الحرب الأهلية، وبالأخص في مرحلة الوصاية السورية التي جاءت في أعقاب اتفاق الطائف، إلى بروز دور أساسي في الصراع حول لبنان لكل من سوريا وإيران، بالإعتماد على صعود دور الطائفة الشيعية الذي كان في الحقبة السابقة ضعيفاً، وذلك بالارتباط بالدور الذي مارسه حزب الله في المقاومة، من خلال جيش حقيقي مدجج بالسلاح.

● أليس من حق من حرر الأرض أن يكون له دور في مواقع القرار في البلاد وفي المجتمع وفي الدولة؟

– تحرير الأرض لم يكن احتكاراً لحزب الله. وقد أشرت إلى دور القوى اليسارية، التي قمعت وأخرجت من دورها في المقاومة بقوة القتل والخطف. علماً بأن تاريخ المقاومة في تجارب الشعوب التي واجهت احتلالاً أجنبياً، في أوروبا على وجه التحديد، هذا التاريخ يشير بوضوح إلى أن دور المقاومة ينتهي بعد التحرير، وتصبح مهمة بناء الدولة هي المهمة الأولى التي تشارك فيها جميع المكونات السياسية في البلد، كل منها حسب قدرتها. وينتهي بالتالي وجود السلاح من المقاومة ويوضع في تصرف الدولة، دولة الجميع، لكي يصبح الجيش هو جيش الوطن والشعب. في لبنان سارت الأمور بخلاف تلك التقاليد المعروفة في تاريخ الشعوب. وصارت للمقاومة ولسلاحها في لبنان وظيفة سياسية داخلية. وجزء من هذه الوظيفة يستخدم لاعطاء دور أكبر للطائفة الشيعية في الدولة، وجزء آخر منها يستخدم لأهداف تتصل بمصالح وبسياسات كل من سوريا وإيران. وهذا هو الخطأ الفادح الذي وقع ويقع فيه حزب الله. فبدلاً من أن يتعامل مع الواقع اللبناني مع شركائه السياسيين والطائفيين، استناداً إلى دوره التاريخي المقر له في تحرير الأرض، مارس بالسلاح وبالطائفية، وبالاستناد إلى الدور السوري والإيراني، لفرض موقع مميز له في الدولة.

● طوائف وفرق وأعراق وديانات وشرائح اجتماعية وطبقية وكيانات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، وأصابع خارجية تجسد هذا الصراع في المجتمع اللبناني... كل هذه الأمور التي أشرت إليها، كيف ترى، بحكم تجربتك التاريخية ومعايشتك على مدى الأعوام الثمانين من حياتك، إمكانية الخروج منها إلى لبنان الإشعاع الثقافي والحضارة والمعرفة والعلم، لبنان الحرية والديمقراطية؟

– ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل... أنا شخصياً واثق من أننا سنخرج ذات يوم من هذا النفق المظلم الطويل. لكن الخروج منه مشروط باستعادة اللبنانيين وعيهم الحقيقي، والتحرر من الوعي الزائف الذي وضعوا أنفسهم في أسره. لقد عانى اللبنانيون من صراعاتهم الطائفية، وعانوا من التدخل الخارجي في شؤون بلدهم وفي شؤون حياتهم. وحان الوقت لكي يستخلصوا من الأثمان الباهظة التي دفعوها من حياتهم ومن حياة بلدهم الدروس الضرورية. وحان الوقت لكي يتحرروا من انقيادهم الأعمى وراء زعامات لم تجلب لهم إلا الموت والدمار والانقسام، وأن يتحرروا من الخرافات والبدع التي أدخلهم فيها المتاجرون بالدين الإسلامي والمسيحي ضد قيمهم الروحية. هنا بالذات يبرز دور الثقافة ودور المثقفين، ودور القيادات السياسية المؤمنة بالعلمانية، سواء من أهل اليسار أم من أهل اليمين. وعندما يتحرر اللبنانيون من ذلك الوعي الزائف ومن انخراطهم باسمه وراء المشاريع الغلط في الداخل وفي الخارج، سيرون أنهم قادرون على بناء نموذج رفيع وراق من الدولة في العالم العربي وفي المحيط، ونموذج رفيع من الديمقراطية، التي لهم فيها تقاليد عريقة. وفي ظني فإن الخراب الذي يعاني منه لبنان واللبنانيون على يد الطبقة السياسية، والقيادات الدينية جزء منها، ستولد، وقد بدأت تولد، عناصر نهضة جديدة، هي التي تسمح لي بأن أبني تفاؤلي على أسس مادية، وليس على الخيال والتمني.

● لك مساهمات ثقافية وسياسية ومؤلفات أثارت جدلاً. وما زال الجدل حولها يأخذ مداه ليس في لبنان وإنما على الساحة العربية أجمعها. وهي بمجملها نتيجة الأعوام الطويلة التي قضيت زهرة شبابك فيها متحزباً لليسار والشيوعية وفي قيادتها. هل يمكن أن تحدثنا عن أهمية وجدوى مساهماتك الثقافية والسياسية في قلب اليسار اللبناني، وأنت خارجه؟! وهل أنت ضمن من يرى أن المبدعين تخبو تألقاتهم الإبداعية داخل أحزابهم وأن المبدع لا يأخذ مدى تألقه إلا خارج هذه الأحزاب؟! وهل تمدنا بأمثلة سواء أكنت مع أم ضد هذا التصور؟

– سؤالك يحتاج في الجواب عليه إلى أطروحة سياسية وفكرية وشخصية. لكنني لن أسترسل في الجواب. وأبدأ بالقول بأنني شديد الإعتزاز بتجربتي الطويلة داخل أطر اليسار، الشيوعي تحديداً، وفي قيادته. ولا أريد أن يفهم من اعتزازي هذا أنني كنت في تجربتي الطويلة تلك، أنا والحزب الذي انتميت إليه ، على صواب. كلا. فما أكثر الأخطاء التي وقعت، ووقعنا فيها. وما أكثر المسؤوليات التي تحملتها شخصياً من موقعي في قيادة حزبي عنها، إفرادياً، وجماعياً. مصدر الإعتزاز بتجربتي يعود أولاً إلى أن ذلك التاريخ الطويل هو تاريخ حياتي، وهو المصدر الأساسي لشخصيتي في تطورها، وفي التحولات التي مرت بها. ثم أن ما قمت به من نشاط سياسي وفكري ونضالي عام لم يكن كله خطأ. ففي ذلك التاريخ، وفي تجربتي الشخصية والحزبية والفكرية، عناصر مجيدة لا يمكنني إلا أن أعتز بها مدى حياتي. يكفيني، إضافة إلى ذلك، أنني كنت صادقاً، حين أصبت وحين أخطأت. والخطأ مثل الصواب في حياة البشر هو حق. غير أن أكثر ما يهمني في تجربتي هو أنني منذ البدايات حاولت أن أساهم في البحث وفي التفتيش، من خلال النقد والسجال مع نفسي ومع الآخرين، من رفاقي وأصدقائي، ومن الذين أختلف معهم في الفكر وفي السياسة. ولي صداقات حميمة مع كثيرين ممن اختلفت وما زلت أختلف معهم. في حين أن بعضاً من أقرب رفاقي إليّ ممن لا تعجبهم أفكاري ينظرون إليّ كمرتد، كما لو أنهم هم ورثة ذلك التاريخ الطويل، من الفكر الإشتراكي ومن رموزه وأبطاله. غير أنني أتسامح، وأتابع قول كلمتي، وأنا أمشي بتواضع مرفوع الهامة.

وأعترف بأن أفكاري التي تضمنتها كتبي التي بلغت العشرين كتاباً، وكتاباتي ومحاضراتي العديدة، كانت ولا تزال في حركة دائمة. ذلك أنني أمشي مع العصر، وأتحول مع تحولاته، وأتابع البحث عن الوسيلة وعن البرنامج اللذين يوصلان إلى تحقيق التغيير الذي دعانا ماركس قبل مائة وخمسين عاماً لكي نحدثه في حياة البشر، التغيير الذي يشترط التقدم في كل الميادين مرفقاً بالحرية والعدالة الإجتماعية. وأنا واثق أنه كلما كثر الباحثون، وكلما كبرت وتعمقت وتوسعت اجتهاداتهم للوصول إلى هذا الهدف العظيم ستقصر المسافة بين الواقع المأساوي الذي نحن فيه وبين التقدم والحرية والسعادة التي ننشدها لشعوبنا. أما فيما يتعلق بدور المثقف، سواء كان مستقلاً عن حزب وعن سلطات، أو كان جزءاً منهما، أو كان في مواقع قيادية فيهما، فإنني أعتقد جازماً أن دوره الاساسي والفعل الذي يمارسه إنما يستندان أن عليه أن يكون دائماً نقدياً. وإذا هو لم يكن نقدياً فإنه يفقد صفة ووظيفة المثقف. هذا هو رأيي. وهذا هو الدور الذي مارسته عندما كنت في موقع القيادة في الحزب. وهذا ما أمارسه في استقلاليتي الراهنة وفي الحرية التي أتمتع بها.

● انحسرت ظاهرة القومية العربية وتفجرت ظواهر الإرهاب والتطرف والمتاجرة بالدين. من المسؤول عن ظاهرة الإرهاب والتطرف، الدين الإسلامي أم الفكر الإسلامي أم هناك أسباب أخرى؟ وإذا قلت الدين الإسلامي، فالدين فكر. وإذا قلت الفكر الإسلامي فهو دين. وهل يمكن فصل الدين عن الفكر، أو فصل الفكر عن الدين؟ ولا يمكن تجريد الدين عن الفكر، أو تجريد الفكر عن الدين؟ وهل يمكن تجريد الأشخاص من الدين، ولا يمكن تجريدهم من الفكر. هل يمكن أن تسلط الأضواء على مثل هذا الإشكال الذي يؤرق الكثيرين؟

– إنك تزجني في بحث يحتاج إلى الكثير من الدقة والحذر، كما يحتاج إلى كثير من الشجاعة في قول ما ينبغي على المثقف أن يقوله، لا سيما إذا كان متحرراً من أي قيود ومن اعتبارات سياسية. وبما أنني متحرر من كل قيد ومن كل اعتبار فبإمكاني الإدلاء برأيي في المسائل التي تثيرها بحرية مطلقة.

أود أولاً أن أشير باختصار إلى أربعة أسباب في تفجر ظاهرة الإرهاب. السبب الأول هو تلك المظالم التي تأتي من داخل الأنظمة الاستبدادية الفاسدة في بلداننا. السبب الثاني هو تلك المظالم التي تأتي من الرأسمال المعولم ومن الاستغلال والقهر ومن العدوان الذي تقوم به دوله على بلداننا. ويأتي في هذا السياق العدوان الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني مدعوماً من الدول الكبرى. السبب الثالث هو ذلك الاستخدام الرجعي للدين من قبل أصحاب مصالح وأهواء لا علاقة لها مطلقاً بالدين، بل هي تتناقض تناقضاً كاملاً مع قيمه الروحية العظيمة. السبب الرابع هو تراجع قوى التغيير الديمقراطي، بتنويعاتها وبمدارسها المختلفة، إلى الحدود التي أصبحت فيها قوى مهمشة في بلداننا، وتحول بعضها من موقعها المهمش إلى قوى ملحقة بتيارات مناقضة لمشروعها الأصلي، ومنها بالتحديد تيارات دينية راهنة. هذه الأسباب الأربعة تقود إلى تزييف الوعي عند المظلومين، وتجعلهم ينقادون وراء مصالح لا علاقة لهم بها. أما ما يتعلق بالفكر وبالدين وبعلاقة البشر بهما، فهي قضايا لا يجوز أن ندخل في نقاشها في مثل هذه العجالة.

● هل يمكن فصل المجتمع عن الدين؟ وكأن الإرهاب والإرهابيين في العالم يتزودون من خزان الظلام. وقد حققت ضربات قاسية ضد معاقل الإرهاب. إلا أن هذا الإرهاب ينتشر كالهشيم في النار. وكانت المحاولة الدنيئة لاغتيال نائب وزير الداخلية للشؤون الأمنية، الأمير محمد بن نايف تدل على أن معاقل الإرهاب ضاربة في عمق المجتمع، ولن تجدِ الوسائل العسكرية وحدها إذا لم يصاحبها أبعاد ثقافية وتعليمية. وهو ما يأخذ أهميته الحاسمة والجادة في الدور الذي يلعبه خادم الحرمين الملك عبدالله بن عبد العزيز. وكان افتتاح جامعة عبدالله بن عبد العزيز للعلوم والتقنية واقع حداثة، وتحديث تاريخي على طريق بتر دابر الإرهاب والتطرف وإلى الأبد في المملكة العربية السعودية. هل يمكن أن تلقوا نظرتكم على هذا الحدث التاريخي الأكاديمي العلمي والتقني في شبه جزيرة العرب، وأبعاد الإجهاز لاحقاً على معاقل الإرهاب والظلام والتطرف والرجعية والنهوض بالسعودية على طريق التغيير والإصلاح والتقدم.

– أجبت عن قسم من هذا السؤال في الجواب عن السؤال السابق. ولن أعود للحديث في الموضوع. لكن ما يهمني أن أؤكد عليه بأن المملكة العربية السعودية في ضوّء ما تقوم به من إجراءات لمحاربة الإرهاب والإرهابيين إنما تتحمل قسطاً كبيراً من المعركة العالمية الدائرة لوضع حد لهذا الإرهاب، وفي اعتقادي فإن محاولة الاغتيال الدنيئة التي تعرض لها نائب وزير الداخلية محمد بن نايف إنما تشير إلى أمرين: الأول هو أن تلك العناصر الإرهابية لا تزال ذات جذور في المملكة. الثاني هو أن الإجراءات التي تتخذها المملكة بدأت تطال هذه الجذور.

أما فيما يتعلق بالجامعة الجديدة التي افتتحها الملك عبد الله بن عبد العزيز فإنني أرى أنها تشكل حدثاً بالغ الأهمية في المملكة. إذ هي تضع أسساً جديدة للتحديث في المملكة حان الوقت لكي يصبح نهجاً متكاملاً. والأمل معقود على متابعة هذا النهج إلى نهايته، شرط ألا تدخل قوى سلفية ماضوية رجعية لكي تحد من المفاعيل الكبرى المتصلة بالهدف الذي من أجله أنشئت الجامعة.

● شاركت في العام 2000 في احتفالات البحرين بالدستور الجديد. وكتبت عن زيارتك مقالاً اعتبرت فيه ذلك الحدث تحولاً من نوع غير مسبوق في المنطقة. هل ما زلت عند موقفك مما قلته في ذلك التاريخ، بعد مرور ما يقرب من عشر سنوات على ذلك الحدث؟

– يصعب عليّ الحديث بدقة عما آلت إليه التجربة. لكن ما أسمعه وما أقرأه عما يجري في البحرين يجعلني أستمر في تفاؤلي بالتجربة. فالمهم، بالنسبة إلى قراءتي لما حدث ويحدث في البحرين من الخارج، هو أن ديمقراطية من نوع معين قد أخذت طريقها إلى الحياة في الجزيرة. فالبلد مليئ بالأحزاب وبالنقابات وبالجمعيات التي بلغت المئات. وهناك انتخابات نيابية وانتخابات بلدية. وهناك حركة سياسية دائمة، وحركة عمران، ونشاط إقتصادي واجتماعي وثقافي وإعلامي متواصل. وفي ظني فإن مهمة تطوير التجربة إنما تعود إلى القوى السياسية وإلى مثقفيها وإلى جماهيرها. والتطور لا يتم بقفزات. لقد ذهبت تلك النظريات التي تتحدث عنْ القفزات، وذهبت معها تلك النظريات التي تقول بكل شيء أو لا شيء. وكلي أمل أن تستمر التجربة وتتطور من دون انتكاسات. فقد كفانا انتكاسات.